ANCORA IMPARO

المصورة

يناير ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس العدد ١٧ مجلد ٣

الابولوجيا

لـ

دفاع سقراط عن نفسه

ترجمها وحررها (افلاطون) ـ وقد ترجمها عن اصل انجليزي بقلم
س ـ ف ـ م ـ ستورل F. M. Stawell

---

٧ ـ قبل الفتوى بادانته

ـ ١ ـ

لست ادري يا أبناء أثينا ما شعرتم به لما تم سقراطون تحدثون الى الذين يتهمونني ، فان السبيل التي سلكوها للتأثير فيكم في السبيل الشلل ، حتى لقد انساني تظاهرهم بصحة الحق لدي ، وعلى الرغم من هذا فانهم لم يقولوا كلمة واحدة التي هي الحقيقة الحق بالصواب . على انني لم أتوقع بغزارة الشر وعاصل تحذيرهم

اليكم من الاقتناع بسحر بيانى ، وزعما منهم بانى الخطيب المصقع المكبر ، وانهم ليعلمون علم اليقين لى سوف أدحض فلم البرهان بالبرهان ، واضرب لهم الحجة بالحجة . ولم يعز لكم ظهور الهيج إذ يطلق عنوته ، انى لست بالخطيب المكبر القاريض زمام بلاغته على لغة البيان ، وبقصاحة بيانه على حقل مشاعركم . ولقد يخيل الى ان هذا الجمهور الذى عنوتم وانتبهت اليه وقلوبهم ، ملم يكن قصدهم بالخطيب المكبر رجلا يقطر الحق ويحبره ، اما اذا كان هذا قصدهم ، فانا عند ظنونهم ، انا فاقد الخطيب ، غير انى لست منهم فى شىء . فانهم لم يقولوا كلمة حق واحدة جديرة باحترام العقلاء ، اما من يقف امامكم اليوم ، فمتسمون الحق الصراح .

وأبناء أوينا ، ان يبادر الى اذهانكم انكم متسمون من ذلك الكلام المنمق ، وتلك الجمل المزخرفة التى يقنع الحق فى قضاعيف باطلها ، بل كلام دارج وجمل مرسلة على غريزتها خالية من آثار التصنع ، وتكاليف الاصباغ ، وانى لاعتقد اعتقاداً لا تزعزعه ريبة فى أن ما سأقوله اليوم هو الحق ، والحق نفسه . لذلك ينحصر املى فى أن لا ينشد احدكم غير استجلاء الحقيقة ، خالة العقلاء . والحقيقة يا أبناء أوينا ، انه غير جدير برجل بلغ من العمر ما بلغت ، أن يقف امامكم وبين يديه دفاع معد من قبل كما تفعل الصبيان ، وليس لى عليكم من سلطان الا ان اسألكم امراً واحداً ، لا ابغى منكم عنه حولا ، فانكم ان وجدتمونى اتكل خلال الدفاع عن نفسى كما تعودت أن اتكلم فيكم من قبل فى الاسواق وساحات المدينة ، وكما تعهنى فيها كثير منكم وفى غيرها من الأماكن ، فلا تغربوا فى الجلبة والصخب ، ولا تقطعوا على سياق قولى ، واقد حسن بى الآن أن اشرح لكم حقيقة حالى . فان هذه الساعة هى أول فترة من عمرى ، وقد بلغت السبعين ، ووقفت فيها اول مرة من حياتى فى محكمة قضائية ، وجهت الى فيها تهمة ما ، ولهذا تجدوننى غريباً عن الاصطلاحات التى اعتادت فيها المحاكم

من لغتنا . اما وقد سبقني إلى بالكلام كما تركت بعيداً من لغة وعجمة ولثغة وبربرية بعيداً عنها ، فقد يخيل إلى أنه من حق أن لسانكم الأصلي وأن تتجملوا بمتاع من القول حسن لديكم أم قبح ، وأن تصرفوا الأذهان كما إلى تحقيق قضية واحدة لا تتعدد ، بل هي مقصورة على أمر واحد هو : هل ما تسمعون مني صواباً أم غير صواب ، وهذه هي فضائل الفضلاء المسؤول ، كما أن فضيلة الخطيب مقصورة على أن يقصد الحقيقة الخالصة .

— ٢ —

والآن يا أبناء أثينا ، قد تخلصت الناس من تهمي ، يحسن بي أن أعود مرة أخرى إلى أول ملومي لكم من قبل أتهم الافتراء ، وفي أول من أتهمني عندكم ، ثم أعقب عليهم بعد تهمهم ، وأنتم تعلمون أن من أتهموني وافتروا علي عندكم كثيرون ، وقد مضى من قبل خلال سنين عديدة يرددون حديثهم افترائهم ، وإني من سماعهم أشد خشية ، وأكثر خوفاً من محاربة « أنيتوس » وحزبه ، وإن أنيتوس وحزبه لأشد خطورة وأعظم كيداً ، ومع هذا فإن الآخرين ، يا أبناء أثينا ، هم أولئك الرجال الذين درجوا من صغركم وظلوا يتهمونني عندكم عند حداثتكم ، وقد كنتم من أطفالكم عند ذاك العهد الغض ، فاتهمني لديكم من التهم المفتراة ما شاءوا به فلا جرم يكون حذري منهم مضاعفاً حذري من « أنيتوس » وحزبه ، هم يقولون — « إن يوجد رجل يقال له سقراط ، فيلسوف يتأمل في خلق السماوات وما احتوت من حركة ، ويبحث أسرار الأرض وما كمنت من عل ، ويقلب الحقائق حتى ليصور لسامعه حسناً ما ليس بالحسن » . هؤلاء الرجال ، يا أبناء أثينا ، هم الذين انتشروا عني في الأقطار عند الأقاصيص ، وهم الذين أخشاهم وأخشاهم ، لأن من يصغي إليهم يخيل إليه أن يدرك العقل تقضي بأن من يبحث هذه المسائل يسلم به البحث إلى الزندقة وإنكار وجود الله . وعلى الرغم من أن متهمي كثيرون ، فإنهم أخذوا يتهمونني منذ سنين عديدة إذ كنتم في

أين سمى مركز معلمين لتمثيل كل ما يؤلمكم ، عن القصر عهدكم بهذه الخيانة وفلا تجربتكم . فقد كان المعهد الأوفر منكم في طور الشباب والقوة وأجرأكم على أحكامها مثلية ينقصها شرط أساسي من شروط العدل والإنصاف ، هو بعدي عنكم وقيامكم تتهمون عند الدفاع عن مسألتي . ومما يزيد أمري منكم ريبة ، أنه لا يمكن أن أعرف كل منهج وأنهل أسبوعهم ، وكذلك لا يمكن أن يؤخذ بأقوالهم ، ما لم يكن فيهم رجال معروفون بمثل شخصيتهم ويتعهد مسؤوليتهم . فإن من الذين اتهموني ، وصرفوا كل عنايتهم في سبيل تضليلكم وغرس الغيرة في قلوبكم للاعتداء بحقوق ، نفر قد أقسموا البعض منكم ، لأنهم بأنفسهم قد أقسموا خيرهم إثماً وتضليلاً ، فورث بعضكم التضليل عن بعض ، عند مستنبئ . ومن الصعب أن أسلك مع هؤلاء سبيل النظر في أمري ، وليس في مستطاعنا أن نعود إلى هذا المكان نقرأ فيهم وثائقهم الخبيثة على ما جنيا . فمثل الآلي مثل رجل مصفر بطبيعة مركبه أن يداوي جسمه إزاء خيالات وأشباح صورها له الوهم ، وإن يداوي الأعضاء حيث لا عجيب . فإنه يخلق بي أن أبين لكم أن متهمي قسمان ، فالأولى هم الذين يتهمونني عند الهيئة الحاكمة ، والآخرون هم الذين أنكر فيهم الساعة ، وإنهم لأبعد من هؤلاء في نظري خطراً . ويجب أن تتحققوا أنه ينبغي على أن أدافع عن نفسي أمام هؤلاء قبل غيرهم ، لأن في خطر السبق في الزلل ، وهم أول من سمعتم منهم هذه التهم في ، وكانت هذه أشكر أول ما عنى بهم الحكم يضحوا لانقلابه فيها مجالاً واسعاً ، وإنه ليخيل إلي ، يا أبناء أثينا ، أنه يجب على أن أعمل جهد استطاعتي حتى أخرج من أذهانكم خلال هذه الغيرة القصيرة ما علق بها من آثار تلك التهم والوشايات الكاذبة ، التي وجدت أرضاً خصبة أينعت فيها ثمارها . وإني لأتمنى من صميم قلبي أن أصل وإياكم إلى هذه الغاية المرجوة ، وأن أنجح في الدفاع عن نفسي ، إذا كان في ذلك خير لي ولكم ، غير أني أظن

ان يهتم بصفة شاقة ، رغم أنى لست محيطا تمام الاحاطة بها ، ولا أن تتوفر الشجاعة الكافية لمثلها ، فواجبى أن أطيع القانون ولن أبدأ فى الدفاع عن مسلكى .

— ٣ —

على ما تقدم من القول يتبين على أن أبدأ ببحث تلك التهمة التى جئ عليها بما يعزو به الى « ميليتس » و« بهيمى » . ماذا يقولون فى دعواهم ضدى ؟ أرى من الواجب أن أعتبرهم مدعين قضائيين فاقرأ لكم قرارهم الذى يتواجهون أساس التهمة . يقولون — « ان سقراط مذنب لانه حادة فى جنب حكومة البلاد ، وانه يعد مجرماً لبحثه السماويات والارضية ولانه يجعل الاضعف الحجة الاقوى ولانه يعلم غيره بأمثاليه الكاذبة ، حتى ليتغلب على الخطائين ويفسدهم » . هذا ما يقولون ، وتلك هى النسخة التى تشكلت بها أقاصيصهم . ولقد أتاكم « ارسطوفانيس » من قبل هذا فى روايته الهزلية بقصة مهرج اذ جعل بطل الرواية شخصاً يقال له « سقراط » يحمل فى دن ، ويدعى أنه يجتاز أطباق الهواء ماشياً على قدميه ، ويسفسط كثيراً فى أمور ذكرها ، مع أنى لا أعلم عنها ، ولا أقول رحمى ، شيئاً قل أم كثر ، ولست بقائل هذا القول لارداء من يعلمون شيئاً ، فلا يكون هذا الامر من الشأو بالطبل الغائر أحدكم فيها . أيمكن لميليتس أن يوجه الى مثل هذه التهمة بعد ، ان الحقيقة ، بناء عليها ، أنى لا أعلم من هذه الامور شيئاً ؟ انى لا أدعوكم جميعاً ، ولا أدعو السواد الاعظم منكم ، أن يكونوا فى عداد الموقف شهود فى المديل . أمت أن يكون بعضكم لبعض ظهيراً واسمال الذين تعرفنى من قبل ، وجاءكم سمع منى كثيراً ، هل خرق سمع أحدكم كلمة واحدة دارت بها هذه العلاقة بهذه الموضوعات أو ما يجرى مجراها ؟ من ذلك تتحققون أن الاقاصيص التى تتناقلونها من أفواه العامة عنى لا تختلف عن هذا شيئاً

— ٤ —

إن بعد هـذه التهمة عن حقيقة الواقع ، لا يجعل لها وزنا يقام ، ولا لغيرها مما سمعتم من الكثيرين من أنى أجعل الكسب المادى رائدى في بث تعاليمى : ولا أظن أن هناك فخراً كبيراً في أن أتبع في نشر التعاليم وتلقين مبادىء الحكمة ، تلك الطرق التى يتبعها « جورجياداس » الليوتونى ، أو « برودیکوس » الكيوسى ، أو « هيبياس » الأليسى . إن هؤلاء ليهبطون أية مدينة من مدن بلادكم التى تعرفونها ، فيغشونها كما تغشى سحابة الصيف أديم السماء الصافية ، و يبذلون جهد مستطاعهم ، حتى يجتمع من حولهم بعض من الشبان الذين ينضمون الى غيرهم من بنى جلدتهم من غير أن يخصص عليهم أستاذهم أجراً ما . وبهذه الطريقة يمكنهم أن يستدرجوا الشبان و يغروهم على ترك الجماعات الأخرى إلى جماعتهم ، ثم يرهقونهم فيما بعد بما يأخذون منهم من المال أجراً على تعليمهم . وما أبعد هذا عن سنن الاحتشام والأدب المرضى . ولم أذهب بكم بعيداً ؟ فلدينا فيلسوف آخر من « بيروس » يوجد الآن فى بلدة أعرفها . وذات يوم وقع لى أن أقابل صديقاً لى انفق من ماله على السفسطائيين اكثر مما صرف كل مولع بالحكمة على غيرهم ، وأعنى به « كاليوس » بن « هيبونيكوس » وله ابنان ، فمن لى أن أسأله سؤالا : فقلت له :

« يا كاليوس ، اذا فرضت أن ابنيك لم يكونا انسانين ، وكانا مهرين كريمين أو ثورين ضخمين ، اذن لا كتريت لهما سائساً يقوم بواجب خدمتهما ونظافتهما وجعلهما زينة وقنية طيبة . ولنفرض أن هذا السائس يكون زارعاً أو مربياً للخيول . غير أنها يا كاليوس من بنى الانسان وتربيتهما عليك حق مفروض . فهل فكرت فى مرب لهما يقوم بتثقيفها ؟ وهل يوجد انسان يمكنه أن يعرف ما ينبغى أن يكون الفرق بين الفرد المطلق ، و بين الفرد الذى هو تابع لرعوية الحكومة ؟ انى أعتقد أنك فكرت فى هذا الأمر لأن لك أولاداً . وهل يوجد

ذلك الشخص أم لا يوجد ؟ فأجابنى بأن « نعم من المحقق ان شخصاً كهذا لابد من أن يكون موجوداً » . فسألته أو تعرف من هو ، ومن أين أتى وكم يأخذ من الأجر على تعليمه الاولاد ؟ فقال . انه « اينوس » وقد أتى من « بيروس » ، ويأخذ خمسة أمناء على كل طفل » — عند ذلك علمت ان « إينوس » هذا اسعد الناس اذا كانت له هذه القدرة الفائقة ، ونفسه راضية بهذا الاجر الزهيد ! ! ! اما اذا كان لى مثل هذه القدرة ، إذن لقمت فى الناس وتظاهرت بالعظمة ، ولقذف بى حب الجاه الى التيه عليكم ، والنيل منكم ، ولكن ليس لى هذه القدرة أيها الآثينيون .

— ٥ —

قد يقول البعض منكم — يا سقراط : ماذا يمكن أن تكون تعاليمك؟وما الذى آثار من حولك هذه الجلبة، وأقام ضدك هذه الدعاوى ؟ من المحقق انك اذا لم تكن قد فعلت إلا كما فعل غيرك ، لما علت الجلبة من حولك ، مالم تكن قد أتيت أمراً إداً خالفت فيه بقية الناس ! يجب أن نعلم منك ماهو ذلك الأمر حتى لا نترك وانفسنا ، فيكون لنا الحدس منك شبحاً موهوماً » .

يظهر ، يا أبناء أثينا ، أن هذا سؤال ذوقيمة ، وساعمل جهد استطاعتى حتى أوضح لكم ماهى الوسائل التى نشرت عنى هذه الاقاصيص ، وروجت هذه الاشاعات الكاذبة . فاصغوا الى إذن .

سوف يسبق الى حدس البعض أنى أسخر منكم أو استهزىء بكم . ولكنى أؤكد لكم أنى لن أقول إلا الحق . والحق ، يا أبناء أثينا ، أن الذى نشر اسم سقراط فى عرض البلاد وطولها ضرب من الحكمة العقلية اكب على درسه واوقف على بحثه سنى حياته. لا اقل من هذا ولا اكثر . وماذا يمكن أن تكون هذه الحكمة العقلية ؟ قد يتفق ان تكون هى الحكمة اللائق بيني الانسان معرفتها . ويحتمل أن اكون جهبذاً كبيراً فى هذا الضرب من الحكمة . على أن من

ذكرت لكم الآن أسماءهم قد يكونون جماعة مبرزين في ضرب آخر من الحكمة أبعد مما يتسنى لبني البشر معرفته ، أو غير ذلك من صنوف المعقولات ، مما لا اقدر على تحديده لكم .

انى أتوسل اليكم أيها السادة . أن لاتقطعوا على سياق قولى ولاتهوشوا على ، ولو أنكم ظننتم انى قلت ماقلت تيهاً بنفسى وعجباً .

ان الكلمات التى أقولها لكم الآن ليست لى . بل انى اسندها إلى خطيب طالما أحنيتم له الرءوس اجلالا . أما الشاهد الوحيد الذى سأشهده على ما اشتغلت به من ضروب الحكمة — إذا سمحتم لى بأن أدعوها حكمة أو شيئاً من طبيعتها — فهو ذلك الآله الذى يسكن « دلفى » . وأظن أنكم تعرفون « شيريفون » . إنه كان صديقى منذ نعومة أظفارى وطفولتى ؛ وهو صديق نظامكم الديموقراطى أيضاً . إنه رافقكم إلى المنفى وعاد معكم (١) . وإننى لاعرف حق المعرفة طباع « شيريفون » وصفاته الاخلاقية ، وغيرته على كل عمل القيت اليه مقاليده ، إنه هنجر الى « دلفى » وحملته شجاعته على أن يسأل الصوت الآلهى سؤالا :

انى أتوسل اليكم أيها السادة ان لاتهوشوا ولا تقطعوا على سياق قولى فيما اقول .

سأل الهاتف إن كان يوجد رجل أعقل منى . فاجابته راهبة المعبد بان الصوت أجاب سلباً . وعندى على صدق روايتى هذه شاهد عدل هو أخو

---

(١) بعد أن خضعت سبارطة عام ٤٠٤ ق . م . تقوض فى آثينا عرش الحكومة الديموقراطية . فاجتمع بعد ذلك مجلس من ثلاثين عينا من أعيان الآثينيين بصفة مؤقتة فى مبدأ الأمر ، وانحصرت السلطة فيهم ، فظاموا وتعسفوا ، ففر زعماء الحكومة الديموقراطية خوف الموت ، وذهبوا الى منفاهم . وبعد سنة انقلبت الاحوال . ورجع الديموقراطيون ووطدوا اركان الحكومة الديموقراطية الحرة ، وقد عمدوا فى بعض الأحيان الى قوة السلاح حتى استتب لهم الأمر .

(مترجم)

« شيريفون » . لان « شيريفون » يطوى الآن المرحلة الاخيرة من عمر الدنيا.

— ٦ —

اسمعوا الآن لماذا أقول لكم هذا . سأوضح لكم كيف انتشرت حتى الاقاصيص الكاذبة .

عندما سمعت رواية « شيريفون » سألت نفسى : « ماذا يقصد الآله بذلك » ؟ والى أى مرمى ترمى اشارته » . ؟ فانى ، والحق يقال ، ماعددت نفسي يوماً من الأيام عارفاً بحقيقة شيء من الأشياء رفيعاً كان أم وضيعاً . فماذا يقصد الآله اذن إذ أشار بأنى اعقل الناس ؟ انه لايكذب ، لان الكذب عليه مستحيل . وظللت فترة من الزمان تائهاً في بحر لجى من التفكير ، أطيل التأمل والاستبصار فيما يمكن أن يكون قصده . و بعد أن ملت التفكير ، ابتدأت أبحث الأمر من طريق عملى ، وخططت لنفسى خطة اخذت فى تنفيذها بان ذهبت إلى رجل من الذين أتوسم فيهم العقل والحكمة ، ظناً منى بان ادفع قول الهاتف وأقول له — « هو ذا رجل أعقل منى ، وقد قلت بانى أعقل الناس » — وعند ما حققت النظر فى الرجل — ولا يجد ربى أن اذكر اسمه وهو من بنى جلدتكم يا أهل أثينا — أمكننى أن اعرف مكنونات صوره ومكنوزات طبعه ، وتمكنت من تجربته ومحادثته ، وعرفت أنه يخيل الى الكثيرين ان فيه فضلا وعقلا راجحاً ومنهما براء . وعندها تعمدت أن اظهر له انه يعتقد بنفسه و يظن انه عاقل زوراً ، فى حين أنه ليس عاقلا ولا أديباً . فتفجرت ينابيع الغضب من وجهه ونفر منى ، وجاراه فى غضبه كثيرون ممن سمعنا ، فتركتهم وذهبت مفكراً في أمر نفسى . وهنا تبادر الى أننى على أية حال اعقل من هذا الرجل . ومن المحتمل أن يكون كلانا غير عالم بشيء من حقيقة الخير المحض أو الجمال المطلق ، غير انه يظن انه يعلم منهما شيئاً وهو افرغ من وعاء . اما انا فان كنت استوى معه في الجهل فلست مدعياً . ومن هنا وضح لى انى أعلى منه فى العقل ذروة ، لانه لايخيل لى ، على الاقل ، انى اعرف اموراً

لا اعرف منها شيئاً . فتركت الرجل وسعيت الى غيره ممن توسمت فيهم العقل والمعرفة ، فكان أمرى معهم ، كأمرى مع هذا الرجل ، ولم تخطىء تجربتى احداً منهم . يولون من وجهى غضابى ، او هم يفرون من قوة الحق الصراح .

— ٧ —

وهكذا لم اترك احداً منهم الا خبرته ، حتى انتيت عليهم الواحد تلو الآخر . غير خاف على ما كان يقع منهم وراء الستار ، حزين لما يقع ووقع لى معهم ، شديد الخوف من أن ينتهى الامر باهانتى . غير انى على الرغم من هذا كنت اشعر دائماً انه يجب على أن اضع كلام الصوت فى المنزلة الأولى من نفسي ، وان اذهب فى بحثه الى الغاية القصوى ، وأن اختبر كل من اتوسم فيهم العلم والمعرفة ، لعلى اقف على حقيقة مايقصده الصوت من قوله . واليكم يا أبناء أثينا ، نتيجة بحثى وعنائى .

لقد توصلت خلال بحثى الى نتيجة من النتائج ذات شأن كبير . عرفت أن اكثر الناس شهرة اشدهم قصوراً وجهلا ، وأن الذين يظن فيهم انهم أقل منهم فى العلم منزلة ، اكثر منهم حكمة ، واغزر مادة ، واحد ذهنا ، وأقوم بديهة ويجب على أن اظهر لكم في هذا الموقف المهيب ان مجهوداتى في سبيل اظهار ان ماقاله الصوت كان حقاً ، اشبه بمجهودات « هرقل » فى حروبه . فبعد أن أعيتنى الحيل في رجال السياسة ، عمدت الى الشعراء ، ومنهم إلى مؤلفى الروايات ثم الى كتاب الاغنيات ، تخيلا منى انى اعمل عملا وأسعى سعياً ، فما وجدت نفسى الا اشد منهم قصوراً ، واعلى منهم فى الجهالة كعباً . فطفقت ابحث اشعارهم التى يخيل الى المراء انهم صرفوا فيها كل قوى مخيلتهم وحكمتهم ، وسألتهم عما يقصدون منها ، لعلى اعرف منهم جديداً ، او اعلم مالم اكن اعلم من قبل . والآن ، يأهل أثينا ، ان وجهى ليندى مما اقول ، وقوله على ضربة لازب .

وجدت ان كل من حضر ندوتنا امكنهم أن يعرفوا من الاشعار ويتكاموا فيها بعبارات اشد طلاوة مما فه به واضعوها . غير أنى بعد ذلك ثبت الى نفسي ، وأدركت ان أوضاع الشعراء لا تبنى على الحكمة ، بل على سليقة خاصة أو إلهام ما ، كما هى الحال في الانبياء . وإنهم ليأتون فى أشعارهم بالحكمة وفصل الخطاب، غير أنهم لا يفقهون مما يقولون شيئاً . ولقد ظهر لى أن الشعراء لا يتغيرون، بل يظلون على وتيرة واحدة أكثر أيام حياتهم . وقد اتضح لى أنهم يتيهون عجباً ويظنون أنهم ذوى عقل وحكمة ، وانهم يعرفون أموراً كثيرة كشفت لهم أسرارها دون بقية الناس ، وهم فى الحقيقة لا يعلمون شيئاً . لهذا تركتهم علماً منى بأن لى عليهم من خطر السبق فى الجهل مالى على رجال السياسة .

— ٨ —

انتهى بى البحث الى العمال الذين يحرزون كسبهم بقوة سواعدهم . وكنت أشعر دائماً بأنى غير عالم بحقيقة شيء يمكن أن يكون له قيمة ذاتية ، بل كنت أعتقد أن هذه الطبقة من الناس على علم باسرار غريبة تأخذ بالعقول و الالباب، فلم تخطىء فراستى فيهم . وجدت أنهم يعرفون أمورا كثيرة لا علم لى بها ، ولا دراية لى بحقائقها ، فهم بطبيعة الحال أعقل منى ، أوسع معرفة. غير أن طبقة العمال، أيها الاثينيون ، لم يكونوا أقل من الشعراء حظاً فى الاعتداد بأنفسهم . فكل منهم يعتقد أنه فى صناعته أعقل من كل الناس ، وأوقف على أسرار الصناعات من غيره ، تيهاً واعتداداً بنفسه . وهذه الخلة محت حسنات علمهم ، وحجبت عن الاعين حكمتهم . وعند ذلك سألت نفسى بالاصالة عن الصوت ، عما اذا كان ينبغى على أن أكون على ما أنا عليه ، بعيداً عن حكمتهم الصناعية ووجاهتهم من الاعتداد بأنفسهم ، أو أتشبه بهم فى كلا الامرين . ولقد أجبت نفسى على

تساؤلى هذا ، وبالاصالة عن الصوت ، أنه من الحكمة أن أبقى على الحالة التى أنا عليها .

— ٩ —

هذا البحث ، يا أبناء أثينا ، هو الذى أوغر الصدور منى ودفع بكم الى الحقد على والنيل منى ، باشد ما يظهر الحقد فى أخبث لبوسه والأم ضروبه . وتبع ذلك سلسلة من النمائم والوشايات افتريتموها على وكنيتمونى بسقراط « الحكيم أو العاقل » . فان الذين كانوا يلتقون بى يظنون انى عاقل حكيم ، وكنت أعمل جهد استطاعتى حتى أخرج من رؤوسهم ورؤس غيرهم هذه الفكرة . والحقيقة ، يا أبناء أثينا ، أن العقل والحكمة لله . ومن المحتمل أن الصوت لم يقصد من قوله الا أن يقول لكم إن الحكمة التى تصل اليها العقول البشرية دنيئة لا يعتد بها ازاء الحقيقة المطلقة . ويخيل الى أنه لم يقصد شخص سقراط الذى يتكلم فيكم الآن ، وأنما اتخذ اسمى علماً جامعا قصد به النوع البشرى : كأن يقول لكم : « أيها الناس — ان أعقلكم هو الذى يعلم كما يعلم سقراط أن عقله وحكمته لا يغنيان شيئاً » .

هكذا كانت نتائج ابحاثى القصية منذ تلك الساعة حتى اليوم ، مدفوعاً بواجب الطاعة العمياء لذلك الصوت حيثما صادفت رجلا من بنى جلدتنا أو أجنبيا عنا ، اشتهر بالعقل أو وصف بالحكمة ، فاذا لم يظهر لى أنه عاقل عملت بما أملى به الله ربى ، وبينت له أنه ليس بعاقل ولا حكيم . وكنت خلال هذه الفترة التى أبحث فيها بحثى المتواصل لأظهر حقيقة ما يقصده الصوت من قوله ، مكباً كل الاكباب على عملى حتى انى لم أترك لنفسى من الوقت ما انفقه فى عمل ما غير هذا ، حتى نسيت شؤونى الشخصية ومصالحى . وانى كما ترون أعيش عيش الفقر المدقع والفاقة الماسة لاتفرغ للقيام بواجباتى نحو الذى فطرنى .

— ١٠ —

ولم يقف بى الامر عند هذا الحد . فان الشبان الذين يتبعون تعاليمى ،

والذين لهم من الوقت متسع ـ وهم أبناء الاغنياء ذوى الاموال الطائلة ـ قد وجدوا فى مناقشتى الناس لذة لهم ونفعاً ، فعملوا جهد ماوصلت اليه قدرتهم ، على حفظ أقوالى وتسطيرها ، وأخذوا فى سؤال الناس أسئلة كثيرة ، ليختبروهم بها ، وليقفوا على مبلغ علمهم وحكمتهم . وأنه يخيل الى أنهم لم يجدوا من بين الرجال الذين حادثوهم ، رجلا يعرف شيئاً من الحكمة ، بل قشوراً لاتسمن ولاتغنى من جوع . فمن يتفق أن يناقشه تلاميذى يدفع به الغضب الى التحامل على دونهم ، ويقول إنه يوجد رجل يقال له سقراط ، أتخذ التضليل ديدناً ، وغرس مبادىء الشر والرذيلة حرفة ، فافسد الشبان ، حتى اذا سألتهم عما يقول سقراط هذا وماهي مبادىء حكمته وأساس تعاليمه ، خرست السنتهم ، وصمت آذانهم ، ولم يقووا على اخراج كلة يتفوهون بها لجهلهم مبادئى وتعاليمى . غير أنهم تخلصاً من جرح ذلك الموقف الذى يلقون بأنفسهم في غماره ، يأخذون فى سرد تلك التهم التى يوجهونها إلى كل خيلسوف عدت فلسفة أحد ادراكهم ، قائلين إنه يتكلم فى خلق السماوات ويبحث فيما تحت الثرى ، ويغرى الناس على نبذ المعتقدات الدينية وفكرة وجود الله ، ويظهر للناس حسناً ماليس بالحسن . انهم لايتجشمون مشاق البحث وراء الحقيقة لينشروها بين الناس ، ويعتقدون أنهم على شيء من الحكمة واصولها ، وهم في واقع الأمر لايعرفون شيئاً . غير انهم على جهلهم وطاعيتهم وسعايتهم ، قد تمكنوا بكثرتهم وترتيب أعمالهم وسيرهم على نظام موضوع ، ان يملؤوا رءوسكم بأضاليلهم وما نشروه عنى من مخازيهم الجلى . وتبعهم فى ذلك مليتوس وأنيتوس وليقون . فأخذ مليتوس قيادة الشعراء ، وأنيتوس قيادة العمال ورجال السياسة ، وليقون قيادة الخطباء : حتى أنه ليكون من المعجزات ، كما قلت لكم من قبل ، لو يسعدنى الحظ العاثر بان أخرج من أذهانكم خلال هذه الفترة القصيرة التى سمحتم لى فيها بالدفاع عن نفسى ، آثار تلك الاقاصيص التى نشروها عنى . هذا هو الحق الصراح بأنباء أتيتكم . لم اترك حقيقة ، ولم اخف عنكم أمراً ، كبر

شأنه أم صغر . وعلى الرغم من هذا فانى موقن بانى قد استثرت بذلك عواطفكم وحركت احساساتكم ، ونبهت نائم حقدكم . وفى ذلك الدلالة الواضحة على أن ماقلته هو الحق ، وأن التهم التى توجهونها الى لم تخرج عما وصفتها به فى درج كلامى ؛ وأن فروضى صحيحة ، وأن استنتاجاتى أصح . ولو تدبرتم الأمر او عانيتم مؤونة التفكير فيه من بعد ، لما عدوتم حقيقة شىء مما سمعتم .

— ١١ —

ارى أن فيما قدمت من القول ، هو كل مافى الدفاع عن مسألتى أزاء متهمى الأول ، والآن أبدأ فى دفع اقوال مليتوس — الرجل الوطنى الخير كما يكنى نفسه ؛ وأدحض ببرهانى مايقذف به نحوى من التهم المفتراة ، هو ومن تبعه . وهؤلاء هم القسم الثانى ممن وجه إلى التهمة منكم — ولأشرح لكم الآن قرارهم الذى يتهمونى فيه . هم يقولون « أن مليتوس يؤكد أن سقراطاً مجرم . لانه أفسد الشبان وهوش عقولهم ، وأنكر الاعتقاد بالآلهة الذين يستمسك كل من فى المدينة بالايمان بهم والاعتقاد فيهم ، وأنه خلق من قوة الوهم قوى آلهية اخرى احلها محل تلك » . هذه كل تهمتهم التى يوجهونها إلى . فلنبحثها لعلنا نستبين وجه الصواب . انه يقول بانى أفسد الشبان وأهوش عقائدهم . غير أنى أدفع هذا القول ، أيها الآثينيون ، بانه هو نفسه مجرم فى اشياء أخرى جديرة بالنظر والاعتبار : انه مجرم فى أن يدفع إلى المحاكمة رجالا يوجه اليهم تهما سخيفة مثل التى تسمعونها الآن ، مدعياً أنه يعنى كثيراً بأمور لم يوجه ذهنه ساعة إلى التفكير فيها . وسأظهر لكم حقيقة ما اقول .

— ١٢ —

تقدم ياملیتوس وخبرنى : انك تعتقد أن من الواجب أن يكون الشبان خيرين فضلاء بقدر ماتسمح بذلك الظروف .

— نعم

— وهل لك أن تخبر هيأة المحكمة عمن يسلكم الصراط المستقيم ويهديهم السبيل السوى ؟ من البين أنك تعرف ذلك الرجل ، مادمت قد فكرت فى الامر ، وتقول بأنك اهتديت إلى من يهوش عقولهم و يفسد عقائدهم بموجهاً الى هذه التهمة وستقتنى الى المحاكمة أمام هؤلاء القضاة . فخبرنى بربك اى الرجال يرقى بمستوى اخلاقهم ؛ و يهديهم إلى الطريقة المثلى ؟ أراك الآن وقد اسكتك حرج الموقف عن الجواب . ألا يتولاك الخجل . ألم أك صادقاً حين قلت انك لم تفكر من قبل فى الامر . غير أنى أسألك مرة أخرى أيها الصديق عن ذلك الرجل .

— إنها القوانين وشرائع الاجتماع لا الرجال .

— كلا أيها الرجل الخير . لست عن هذا أسأل . إنما أسألك أى «الرجال» أصلح لتربية الشبان وهدايتهم . ولاشك ان ذلك الرجل يكون ذا المام بأصول الشرائع

— أقول ياسقراط إن هؤلاء القضاة هم الرجال الذين يقومون بواجب تربيتهم

— أتعتقد حقاً يامليتوس ان هؤلاء الرجال هم أولى الناس بالقوامة على شؤون الشبان ، وهم الذين يرقون بمستوى أخلاقهم وآدابهم فى الاجتماع ؟

— معتقد ذلك كل الاعتقاد

— أيشمل اعتقادك الكل أو البعض منهم لا غير .

— اعتقادى يشملهم جميعاً .

— حسن . حسن . انها لثروة عظيمة من الخيرين والزعماء . وماذا تقول فى المحلفين ؟ هل يمكنهم أن يقوموا بعبء ذلك ؟

— أى نعم فى مستطاعهم

— وماذا تقول فى أعضاء المجلس ؟

— وهؤلاء أيضاً .

— حسن يا مليتوس وماذا تعتقد فى أعضاء الجمعية وهذا الجمع الحاشد

انهم لا يهوشون شبانك ولا يفسدونهم على ما يخيل الى . الا تقول أيضاً انهم يصلحون للامر .

— أى نعم . كل هؤلاء بالشبان موصى وعليهم قوام زعيم .

— اذن: فالكل ماعداى يصلحون ! ! ! يتضح من قولك أن كل من فى « أثينا » يصح أن يكون للشبان هاد ، وأنا من دونهم رئيس عصبة الزنادقة وزعيم الضلالة الكبير . الست ذلك تعنى ؟

— لم تخط يا سقراط الصواب .

— واسوأتاه . ما اعترجنى . ولكن اجبنى . أليك هذه الفكرة عينها اذا بدلنا الشبان بالخيل . اتعتقد أن كل النوع البشرى برمته ، وفق فى تربية الخيل و رياضتها ، الا شخصاً واحداً يميت نسلها و يبيد نوعها ؟ ام على العكس من ذلك تعتقد انه يوجد فرد واحد ، او على الاكثر نزر يسير من الناس هم الاقلية العظمى ، يمكنهم ان يزيدوا نسلها ويحسنوا من صفات انسالها ، وأن العديد الاوفر والاكثرية الكبرى هم الذين يبيدونها . اليس الامر كذلك يامليتوس فى الخيل و بقية انواع الحيوانات كافة ؟ لا ريبة فى ان هذا هو الواقع ، اعترفت به انت وأنيتوس أم لم تعترفا . وانه من سعود هذا الزمان ، بل ومن حسناته البالغة ان يكون فى طول أثينا وعرضها ، رجل واحد يضلل اهلها و يسلكهم مسالك الفساد و الرذيلة ، بينما تهديه البقية الى الطريقة المثلى ! ومع هذا فقد برهنت يامليتوس على انك لم تحلل العناية بامور الشبان محلها من الشأن والاعتبار ، وأبنت لكل ذى بصيرة أن عنايتك بهم عدم صرف ، وانك لم تفكر قط فى الامر الذى من اجله توقفنى اليوم فى موقف الاتهام ، وتنزلى منازل المجرمين .